

لن أرتيه فمثله لا يرثى ، وإنما يذكر بعد مماته أكثر من ذكره في حياته . . ويجد الناس في هذا الذكر نفعاً ومتاعاً لا يجدونها عند كثير من الأحياء ، فهو إذن حى في مماته ، بل أكثر من مثات الأدباء والفنانين الأحياء الذين لم يقدسوا الحياة مثل تقديسه لها ، ولم يجبوا الناس مثل حبه لهم ، ولم يكرهوا الظلم والاستغلال والابتذال مثل كراهيته لها . . ولم يتح لواحد منهم أن يحيا حياته الخصبه العريضة بين الفقراء والمبتوذيين ، ويعرف أدق تفاصيل المساة الحقيقية التي يعيشونها وهم سواد الشعب وأصحاب كل الحق . . لقد تعذب معهم ، وشقى بكل ما في حياتهم من قذارة وسوقية وابتذال ، وعانى من أطماعهم وشهواتهم وحرمانهم ، ومن الخرافات التي تملأ رؤوسهم وتفسد حياتهم ، واستطاع أن يعبر عن كل ذلك في فنه الصادق الأصل . . وحاول أن يثور على الأوضاع الظالمة التي تفرض على سواد الشعب هذا اللون القاتم من الحياة ، فنفاه الظالمون البغاة ، وقضى عشرين عاما بعيدا عن وطنه وقاسى الجوع والحرمان وألم العمل اليدوى الشاق ، وشهد في الوقت نفسه لونا أرقى من الحياة ، وعادات أنظف وأسمى ، ولم يستطع طوال هذه السنوات أن ينسى وطنه ولا آلام شعبه ، فظل يتغنى بالحنين إلى بلاده ، ولا يكف عن التعبير عما يتمناه لها من حرية ، ولشعبها من ارتقاء وتقدم . . متخذاً من أساليب الحياة الجديدة التي عرفها في أوروبا مدرسة ينقل صورها النافعة إلى لغة بلاده بأسلوبه المرح الرشيق المليء بالسباب